بعد ان سمع القيصر ما جاء في هذه الرسالة أمر بكل برود ان يقاد حاملها للعذاب كي يحصلوا منه على معلومات اخرى . ولكن الخادم كان رابط الجاش فهدأ غضب القيصر حتى انه وجد الرسالة ممتعة . فهي كما لو ان كوربسكي قام بهجوم خاطف غير منتظر في لعبة شطرنج . وقبل ان يرد إيڤان عليها اخذ وقته في التفكير . كان نوعية اخرى أعمق من طراز كوربسكي . ورغم كل شيء فإن كوربسكي كتب للقيصر وعن القيصر . ولم يكن يعرف أسباب تصرفاته فإن علم النفس يقبع دائماً وراء التاريخ . ولقد غدت كتاباته قطعاً مقدسة في المتاحف ومصادر ثمينة جداً لدراسة عهد إيڤان . ومع ذلك فإننا إذا اتبعناها بعماء فإن التاريخ يمكن ان يخدع . وقد اجاب إيڤان :

« ايها الشقي ، لماذا تهلك نفسك بالخيانة ؟. لماذا تنقذ جسدك الفاني بالفرار ؟. إذا كنت صادقا وفاضلاً فلماذا اردت ان تتجنب الموت الذي يمكن ليديّ ان تقدماه لك وترفض تاج الشهداء ؟. خيلاء وخديعة للعقل ان ياتي الموت بسلام للنفوس . خذ مثلاً على ذلك رسولك . فهو تحت التعذيب وحتى على ابواب الموت لم يشأ ان يخون سيده . فاخجل من ان ترى نفسك هارباً من غضبي ومحملاً نفسك ونفوس أجدادك جريمة الخيانة . ذلك لأنهم اقسموا يمين الولاء لجدي ليس من اجلهم وحدهم وإنما من اجل ذريتهم ايضاً » .

كان جواب إيڤان طويلاً لأنه راجع فيه مهنة الأمير كوربسكي العسكرية وأبدي له بالتفصيل أنه لم يكن مكللاً بالمجد كما تهيأ له . فقد كان الأمير كوربسكي يحضر وليمة بينما كان الخان ياوذ بالفرار وتركه يمضي دون أن يلحق به أية خسارة . وبعد ذلك لم يتمكن مع خمسة عشر ألفاً من عساكره ان يقهر اربعة آلاف فقط من الليتوانيين . ولم يشهد الاستيلاء على استراخان : « لم تنعم قط برؤية المدينة ... وعندما أسلم الله قازان إلينا ماذا كنت تفعل ؟ . قمت بالنهب ... في بسكوف، وتظاهرت بالمرض ... فلولا عصيانك هذا وعصيان الكسي ارداتشيف